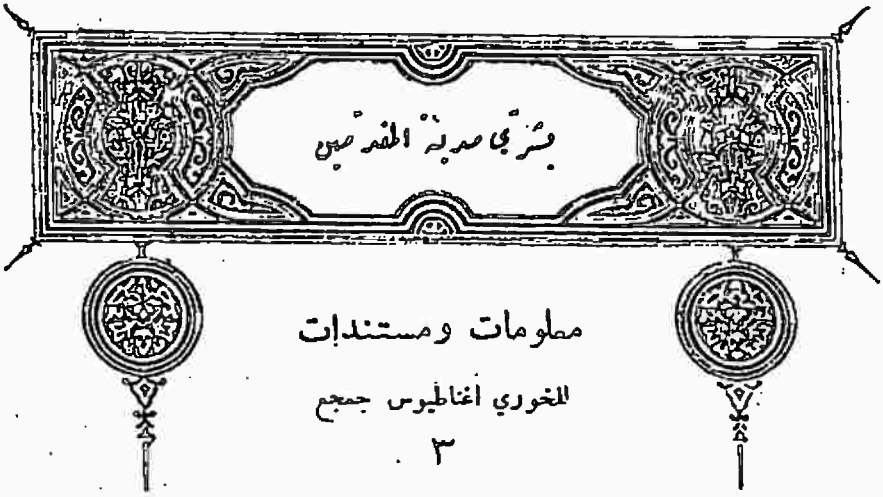

معلومات ومستندات

للخوري اغناطيوس جمجم

٣

اساقفة بشري

اشتهرت بشري باساقفتها ومقدميها وها اني اذكر بعض من ساعدني الحظ بالوقوف على اسمائهم في التواريخ بادئاً بذكر الاساقفة.

كان دير مار اليشع في وادي قاديشا كرسياً لرئيس اساقفة بشري المطران بطرس (سنة ١٣١٥) . ثم المطران يعقوب المتوفى سنة ١٤٦٣، ثم المطران حزقيال (١٤٧٤) ثم المطران يعقوب (١٤٨٩)... ثم المطران يرجس (١٧٩٥) . وبعد ذلك كان وكلاء البطريرك على الاكليروس في الجبة كلها من بشري الى ايام السعيد الذكر البطريرك يوحنا الحاج فتوزعت السلطة، وكل ناحية اقيم لها وكيل خاص .

مقدمو بشري

لفظة مقدم تدل على الحاكم الوارث السلطة من اهله، والمقدمون خلفاء امراء المردة بالحكم على الموارنة.

وقد ذكرت التواريخ الشيء الكثير عن مقدمي بشري. واقدم مصادرها ما كتبه ابو خطار المنطوريني والعلامة الدويهي . وها انا نورد اولاً ما ذكره المنطوريني، ثم ما نقله الدبس عن الدويهي وغيره، وان يكن بين الاقوال بعض الاختلاف . قال المنطوريني :

« سنة ١٢٣٧ قام حاكم على جبة بشري الرقيب وكان شديداً من بشري

وسنة ١٢٥٠ قام عوض ابنه سالم ولكنه لم يشبه اباه بل كان غاشماً ظالماً . وبعده اعطوا الحجة الى المقدم نقولا . . .

« وسنة ١٤٤٤ كانت وفاة يعقوب مقدم بشري وخلفه اولاده سيفا وزين وقر وبدر ومزهر . وكانت ولاية المقدم يعقوب واولاده نحو ٦٢ سنة . وفي سنة ١٤٦٦ كانت وفاة المقدم رزق الله ابن جمال الدين ابن سيفا . وتولى بعده الحكم ابن اخيه المقدم عبد المنعم بن عساف بن جمال الدين بن سيفا . وفي سنة ١٤٦٩ توفي عبد المنعم ابن جمال الدين وتولى بعده ابن اخيه رزق الله . وفي سنة ١٤٩٥ توفي المقدم عبد المنعم بن سيفا البشراوي وتولى بعده المقدم جمال الدين . وفي سنة ١٥٢٧ كان مقتل يوحنا مقدم بشري . وسنة ١٥٣٠ نقلت المقدمية الى المناحلة . وفي سنة ١٥٧٠ كان مقتل المقدم رزق الله في طرابلس . وفي سنة ١٥٧٣ خلف المقدم رزق الله اخوه المقدم داغر عساف بن موسى . وسنة ١٧٦١ نهبت المتاولة بشري وقتلوا ابا ظاهر الفرز المقباشي وجبور اصيله وابا انطونيوس سكر وابا رزق جمجع وجبور رحمه .

« وفي الموقعة الثانية استدام القتال من شروق الشمس الى الغروب قدر ثمانية ساعات ، ودخان البارود غطى بشري فقتل من بشري فارس درغام وبطرس الفخري . وسنة ١٧٦٣ لحقوا المتاولة الى بعلبك فقتل من بشري في الشعري آدم رحمه (انتهى ما نقلناه عن تاريخ ابي خطار حرفياً) . . .

وقد ذكر الدبس في تاريخه انه في سنة ١٣٨٨ اقام الملك الظاهر الشدياق يعقوب ابن ايوب مقدماً على بشري ، وكتب له ذلك بصفحة من نحاس . وذكر صاحب الغرر ان هذا المقدم بقي حاكماً الى ان توفي سنة ١٤٤٤ ، وكانت مدة ولايته اثنين وثلاثين سنة ، وخلفه في المقدمية اولاده سيفا وقر ومزهر وزين وبدر ، واجروا العدالة في حكومتهم فاستراح اهل البلاد في ايامهم كما كانوا في ايام والدهم . وخلف المقدم سيفا ابنه عبد المنعم ، ثم توفي سنة ١٤٦٩ ، فخلفه رزق الله ابن اخيه جمال الدين بن سيفا بن يعقوب . ثم توفي رزق الله في سنة ١٤٧١ . وخلفه عبد المنعم الثاني ايوب بن عساف بن جمال الدين . قال الدويهي ان في ايام هؤلاء المقدمين استتبت الراحة في لبنان وكثر العمران وانشئت

الكنائس والمدارس . وكان في حدشيت عشرون كاهناً ، وفي بشري نحو ثلاثمئة مذبح . وكان في قرية الحدث ستمائة جوز بقر ، وفي الحارة العليا في اهدن سبعون بغلاً . وقد احصيت اسماء النساخ . في ذلك العصر عمّا وقفنا من كتبهم فاذا هم يفيفون على مئة وعشرة نساخ ولما اشتهرت اخبار ما ساد من الامن والراحة قصد كثيرون من البلاد البعيدة للسكن في بشري مثل اولاد جمعة الذين تركوا عين حليا وتوطنوا في بشري وخلافهم . وفي سنة ١٤٩٠ توفي المقدم عبد المنعم ايوب ، وتولى المقدمية على بشري بعده ولده جمال الدين يوسف . وكان راسخاً في الايمان القويم ، وامرأته عمرت كنيسة مار حوشب في بقاع كفرا . وبعد جمال الدين يوسف خلفه ابنه المقدم الياس بن يوسف المذكور . والى هذا المقدم ارسل البابا لاون العاشر رسالته ليكون غيوراً على قومه اهل جبل لبنان وان تكون له عناية في امر الدين الكاثوليكي ، واليقظة لسياسة ملته وهذه الرسالة اتته سنة ١٥١٥ ثم توفي سنة ١٥١٩ ، ولم يكن له الا ولد قاصر اسمه يوحنا . فاغتنم الفرصة عبد الوهّاب المعروف بابن عجرمة وحكم الجهة الشمالية وذلك لانه تزوج بست الملوك ابنة الشيخ عاوان بن قر من بشري ، وكانت ذات ثروة عظيمة . اما بشري والجهة الجنوبية فلبثت بعهده تحت سلطة المقدم يوحنا وسمي عبد المنعم .

وفي سنة ١٥٣٧ كان اجتماع في بلوزة ، ولما قدم مقدم بشري يوحنا المذكور لم يرد المقدم قيطر ابن عجرمة ان يلاقيه او يقف عند دخوله ، فطعنه المقدم يوحنا برمح فقتله . فرغبت امرأة ابن عجرمة في اخذ ثأر زوجها ، ثم استدعت اليها حمادة رئيس الحمادية ، واتفقت مع نصارى عين حليا ، فاكمنوا للمقدم يوحنا خارج دياره ولما خرج سحرًا وثبوا عليه وقتلوه . ودخل الملكية الدار وقتلوا اولاده . فلما اشتهر الخبر اسرع اهل بشري في طلب القاتلين ، فقتلوا حمادة وبعض الملكيين . فانقرضت بمقتل المقدم يوحنا هذا واولاده ذرية المقدم سيفا . فانتقلت المقدمية الى ذرية قر المناحلة نسبة الى عين حليا،لان رجلًا من عين حليا اسمه عز الدين تزوج ببنت حسام الدين بن يوسف بن قر مقدم بشري سنة ١٤٣٠ فولد منها حسام الدين . وهذا رزق اربعة اولاد وهم موسى ورزق الله

وداغر وعشينة. فلما انقرضت سلالة سيفا اخذ هؤلاء الولاية على جبة بشري ، واخذ الولاية عنهم رزق الله . قال الدويهي ان المقدم رزق الله ، مقدم بشري ، حضر مع البطريرك وثمانين مطراناً ونحو اربع مئة كاهن في تقديس الميرون يوم خميس الاسرار من السنة ذاتها ... ان المقدم رزق الله اشتهر ببسالته وعدله وحسن معاملته لمن هو تحت امره وللقريب ومنع كل تعدٍ وظلم ، وجعل المساواة في الحقوق . وكان يجلس تحت شجرة سنديان ليسهل لكل مظلوم ان يشكو له ظلمه. ومحبته للعدالة حملته على قتل اخيه عشينة لانه لم يكن حسن السيرة بل كان يسطو على الناس وينهب ويقتل ، فحنق عليه المقدم رزق الله ولما وجد ان اخاه عشينة لا يرتدع دعاه الى البرج الذي في اعلى القرية وقتله بواسطة رجال من الضنية . فسمع البطريرك واتى بشري وحرم المقدم رزق الله على مسمع الجمهور ... قال مؤلف بحيرة قدس ، العلامة الاب لامنس اليسوعي، ان المقدم رزق الله كان كريم الاخلاق مبغضاً للظلم . وبما انه قبل ان يتولى المقدمية شاهد افعالاً كثيرة منكرة من اهل التوّ والكبرياء الذين يتعدّون على الضعفاء والفقراء ويهدمون حقوقهم استخدم سلطته في كف يد ذوي البغي ورفع ظلمهم وكان يحب خير شعبه ولا يطيق ان يظلم القوي الضعيف فاتهم تهمة زور وحكم عليه بالموت مربوطاً بذنب حصان وهو بريء من هذه التهمة.

وذكر التاريخ انه في شهر ايار سنة ١٢٨٣ للميلاد سارت العساكر الاسلامية الى فتح جبة بشري . فسلبوا ونهبوا واحرقوا بعض الضيع والقرى مبتدئين من اهدن وحصرون والحدث دون ان يذكر بين هذه النكبة بشري. وهذا دليل كافٍ على منعتها وكثرة رجالها اصحاب البطش والصولة وعظم مقدميها وبأسهم. فتكبروا عنها لاسيما لم يكن قصدهم الّا غزوة عابرة على عادة تلك الايام. ويدل على ذلك بان بعد مدة وجيزة كانت اهدن وما ذكر من الضيع مأهولة عامرة (تاريخ المرانة ٢٠٩ صفحة) وسنة ١٧٧١ دهم المشايخ الحمادية الامير بشير حيدر وهو في الكورة فحارب معه شيخ بشري وظفروا بالحمادية وتركوا جبة المنيطرة الى الكورة . فتبعهم رجال جبة بشري الى الكورة وظفروا بهم . فتركوا الجبة (تاريخ الدبس صفحة ٣٩٩)

بعض حوادث تاريخية

احب ان اذكر المطالع ، قبل ان اذكر ما يأتي ، ان لكل عصر اخلاقاً وعوائد واعتقادات مخالفة لما قبله ولما بعده . فلذلك على من يطالع ان يحكم طبقاً لعوائد ذلك العصر فيعذر ما يجده مخالفاً لرأيه ويرفع الملامة.

اخراج المتاولة من بشري وتعيين حاكم ماروني عليها

حدث ان عينت السلطة الرئيسية رجلاً متوالياً ، حاكماً على بشري . وكان سكانها الموارنة قليلين جداً مسكنهم حارة التحتا ومعبدهم كنيسة مار سابا المحاطة بالتوت وغيره من الاشجار . وقد تم الاتفاق بينهم وبين الحاكم ان عرضهم يكون مصوناً ودينهم ممارساً بالحرية ، وخلا ذلك فهم مستعدون لايفاء ما يطلبه ، خاضعون لاوامره . فطيب خاطرهم ووعدهم ان لا يدع احداً يتعدى على عرضهم ولا يتعرض لدينهم فلهم حرية تامة في ذلك.

ولم يمض القليل حتى نظر احد اقارب الحاكم ابنة مارونية متصفة بجمال باهر فاحبها واخذ يستعمل مختلف الوسائل للحصول عليها فخاب امله وضاعت اتعابه . فاخذ يترصد الفرص حتى عرف يوماً ان الرجال في الكنيسة جميعهم فذهب الى بيت الابنة واراد خطفها بالقوة . فاعترضته النساء ، ونبهت الرجال بصراخها . فتركوا الكنيسة طالبين محل الصرخة . فوجدوا بعض المتاولة يحاولون اخذ الابنة عنوة وهي تقول: « اقتلوني ! الموت ولا العار » . ففار دمهم وهجموا على المتعدين وبعد مناوشة طويلة ظفروا باعدائهم . فذبحوا طالب الابنة على توتة قرب الكنيسة ، فدعيت من ثم « توتة الدم » وكانت لا تزال معروفة الى مدة قريبة وقد نظرتها بعيني وسمعت قولهم « توتة الدم » . وبعد قتلهم قريب الحاكم ، طردوا الحاكم من البلدة مع انسبائه.

ثم اخذوا بالتحفظ التام وهم عارفون ان المتاولة كثيرٌ عددهم ، وقد ذهبوا لطرح الصوت . فتحسبوا للامر واستعدوا للدفاع فردوا النهر على طرف الضيعة ، مدة عشرة ايام . وفي اليوم العاشر ظهرت خيالة المتاولة ورجالهم في عدد وافر

صارخين :« اليوم قتل الموارنة ونهب اموالهم وسلب حريمهم اليوم اخذ الثأر.»

وفي الحال ارسل موارنة بشري كميناً خبأوه قرب نهر قاديشا ليضعوا العدو بين نارين. ثم وصل المتاولة الى مرجة قرب بشري ورفعوا اصواتهم وتراريدهم الحربية قائلين :« اليوم شرب دم العدو ، اليوم اخذ الثأر » وهجموا هجمة عنيفة. لكن خاب املهم اذ رأوا خيلهم تفرق والرجال تأخذهم الاوحال فلا يستطيعون ان يتقدموا خطوة الى الامام فهالهم الامر واجبوا الرجوع الى الوراء. عند ذلك خرج عليهم الكمين وحاربهم وكسرهم فولوا هاربين. وعند وصولهم الى المزرعة تبعتهم الرجال وقتلت عدداً منهم وامسكوا خيالاً . فرفع ظاهر الفرز الدبوس ليسحق رأسه فصرخ رفيق هذا الخيال :« هذا ابن الحاكم الكبير وهو وحيده فان عفوت عنه كافاك .» فاسرع ظاهر وقبل يدي ابن الحاكم واطعمه ثم قال :« قل لمولانا والدك اننا لسنا ضد المتاولة اصحاب الشرف ، ولا بغض لهم عندنا . غير انهم تعدوا على عرضنا فطردناهم . قل لمولانا والدك ان موارنة بشري خاضعون يحبون السلامة . فليرسل من اراد ليحكمنا مع شرط صيانة العرض والدين »

بلغ هذا الكلام الحاكم الكبير وذكر ولده ما رآه من معاملة موارنة بشري وطاب منه المكافأة لهم ولاسيما لمن عفا عنه واكرمه . فارسل الحاكم الكبير لظاهر الفرز خلعة وولاه حاكماً على بشري سنة ١٦٣٨ او ١٦٤٠.

(له صلة)